

نقوش
على سطحِ ماء

وليد جلال



نقوﺶُ ﻋﻠﻰ ﺳﻄﺢِ ﻣﺎءٍ

نقوشُ علی سطحِ ماء

تألیف
ولید جلال



رقم إيداع ٢٧١٨٧/٢٠١٤

تدمك: ٧ ٢٤٩ ٧٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٢٧٠٦٣٥٢ + ٢٠٢ فاكس: ٣٥٣٦٥٨٥٣ + ٢٠٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: أميرة علم، تصميم الغلاف: خالد المليجي.

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.
الرسوم الداخلية: أميرة علم.

Cover Artwork and Design Copyright © 2015 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

Copyright © Walid Galal 2014.

All rights reserved.

المحتويات

٩	ذَاتُ نُورَةٍ
١١	على حافة المذبحة
١٥	طروادة تسقط مرةً أخرى
١٧	دَوْرَةٌ
١٩	قصيدةٌ دمشقيّةٌ
٢٣	صديقةٌ دمشقيّةٌ
٢٥	ذَاتُ عَفْوَةٍ
٢٧	وشوشاتٌ في أذن الجميلة النائمة
٢٩	إيقاعٌ مهترئٌ للنشيج
٣١	هُذَيَانُ
٣٥	قُصَاصَاتُ (١)
٣٧	شَطَايَا
٣٩	ذَاتُ ضَيْعَةٍ
٤١	والرّماديُّ ... يوماً قد يثُور
٤٧	قُصَاصَاتُ (٢)
٤٩	خُبُوطُ
٥١	قُصَاصَاتُ (٣)
٥٣	تَمَّتَمَاتُ على الدَّرْبِ

٥٥

قُصَاصَات (٤)

٥٧

نقوشٌ على سطحِ ماء

٥٩

ذَاتِ رُؤْيَا

٦١

صَلَوَات

٦٣

مشاهدٌ من غَيْبٍ لم يُكْتَبْ بعد

٦٧

مشهدٌ آخر ... لأطلانتسٍ أخرى

٧١

ذَاتِ رِحْلَةٍ

٧٣

رجوعًا إلى المهد

٧٧

قُصَاصَات (٥)

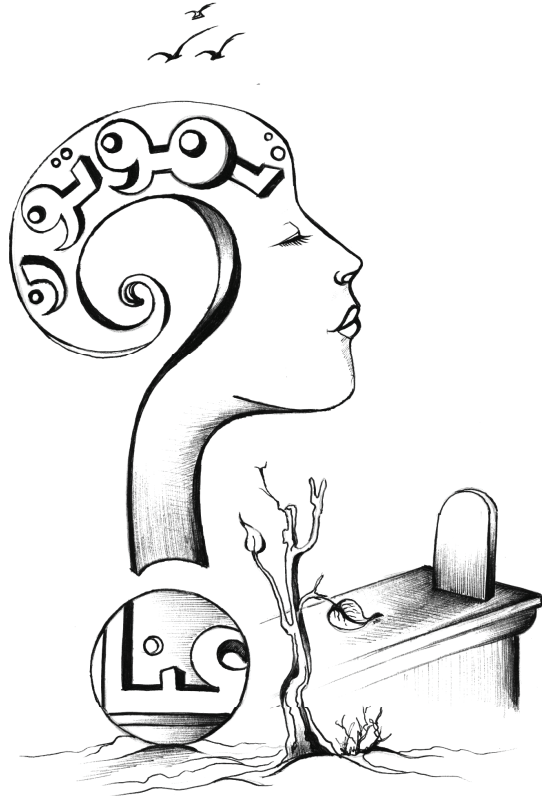
٧٩

من آثارِ رِحَالٍ

سأهربُ من رِيحِ الحَدائِةِ ... هابِطاً
وأهربُ من قَيدِ الخَليلِ ... صُعوداً

فلو شرطُ مجدِ الشُّعْرِ طَمَسَ شُعُورِهِ
سَأُنْأَى بِشُعْرِي أَنْ يَكُونَ مَجِيداً

ذَاتَ ثَوْرَةٍ



على حافة المذبحة

لماذا تموتونَ عنا؟

لماذا تموتونَ عنا؟

وهل نحنُ أجبنُ منكم

أم الموتُ أجبنُ منا؟

لماذا تموتونَ عنا؟

وكنّا معاً

عرفنا التسكّع بين الأزقةِ

كنّا معاً

عرفنا التدرُّع بالأغنياتِ

لصدُّ القنابلِ

كنّا معاً

عرفنا الدَّاوي بعُشبِ النُّكاتِ

إذا غارُهمُ ألْهبَ الأضلعاً

معاً ... بتعاطيِ المواجهِ تُرنا

معاً ... باحتساءِ الجسارَةِ دُخناً

فهل إنْ دُعِينَا إلى الموتِ سِرْتُمُ سُكَارَى؟

وهل نحنُ حينَ عَصَيْنَاهُ ...

هل نحنُ حُنَّا؟

لماذا تموتونَ عنا؟

وعنِ مصرَ

ها مصرُ سوفَ تمرُّ بنا - ربِّما - لربِّيع

وقد لا تمرُّونَ في القلبِ

إذْ يتساءلُ بعدَ سنينَ فتى:

«مَنْ أَذَابَ الصَّقِيعَ؟»

فكيفَ تُنيرُونَ شمسًا

وتنطفئونَ

بدمعِ الجموعِ؟!

لماذا تموتونَ عنا؟

وقد لا تعيشونَ في الذَّاكِرَه

ستغدو ملامحكم بعدَ حينٍ

مُشتتةً غابره

ولن نتذكركم

غيرَ عندِ انتباهِ الصحافَةِ للمقبره ...

لإكليلِ زهرٍ

يقدمه المنحني مُثقلًا بالنياشين

والقصصِ الرَّاخِرَه ...

بوهمِ البطولةِ

ثمَّ يسيرُ (وموكبهُ شبهُ شعبي)

تتبعه الكاميراتُ

فتختطفُ النظراتُ

وتنسَوْنَ ثانيهً

فتموتونَ ثانيهً

في انتظارِ لِذِكْرِي وفاتكمُ المقبله

وأبقى أرددُ فوقَ رُفاتكمُ الأُسئلَه:

«لماذا تموتونَ عنا؟»

وبضعةِ أسئلةٍ عاجزاتٍ

تطارِدُ أجوبهً جامحه

أَجِيبُونُ
بَلِ انتَظَرُوا لِأَتَمِّمَ بِالْفَاتِحَةِ

...»
«... آمِينَ»

أَجِيبُونُ
بَلِ انتَظَرُوا لِأَرُدِّدَ تَرْنِيمَتَيْنِ
وَأُوقِدَ خَمْسَ شُوعِ

...

أَجِيبُونُ
فَأَسْأَلْتِي فِي فُؤَادِي صُدُوعِ
لِمَاذَا تَمُوتُونَ؟
وَكَيْفَ بِتَضْحِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ ارْتَضَيْتُمْ
وَلَمْ أَرِ فِيكُمْ يَسُوعَ؟!
تَمُوتُونَ عَنَّا
وَنَحْنُ نَغْنَى
وَيَأْكُلُ مِنَّا الضَّمَائِرَ ... جُوعِ
وَأَسْأَلُهُ فِي الْفُؤَادِ ... صُدُوعِ
لِمَاذَا تَمُوتُونَ عَنَّا؟
لِمَاذَا تَمُوتُونَ عَنَّا؟
أَجَابَ شَهِيدٌ:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ»

فبراير ٢٠١١

طُرُودَةٌ تَسْقُطُ مَرَّةً أُخْرَى

هُومِيرُوسُ
طُرُودَةٌ تَسْقُطُ يَا هُومِيرُوسُ
طُرُودَةٌ تَسْقُطُ
وَالشَّعْبُ الْمَغْتَرِفُ الْأَفْرَاحِ قُبَيْلَ النَّصْرِ
تَرْنَحُ مِنْ خَمْرِ الحُلْمِ
قُبَيْلَ فَرَاحِ الكَأْسِ
وَأَلْقَى الْمَجْدَافَ إِلَى الْمَوْجِ
قُبَيْلَ بُلُوغِ الْبَرِّ
لَأَنَّ جَهُولًا يَتَحَدَّثُ بِاسْمِ زَيْوُسٍ ...
قال لهم:

«إِنَّ زَيْوُسَ وَآلِهَةَ الْأَوْلِيْمِبِ جَمِيعًا
رَاضُونَ عَنِ النَّصْرِ»

فَنَامُوا مَلءَ جُفُونِهِمْ ... الْحَمَقَى
تَرَكُوا طُرُودَةَ فِي الْمِيدَانِ
يَلُوكُ ضَفَائِرَهَا الْبَرْدُ
وَيَنْخَرُ عَيْنَيْهَا السُّوسُ
طُرُودَةٌ تَسْقُطُ يَا هُومِيرُوسُ
دَعْ عَنكَ عَمَّاكَ لِيَوْمَيْنِ
وَرَاقِبْ عَنِ كَتَبِ

نقوشٌ على سطحِ ماء

ثُمَّ انقشْ إِيَّادَتَكَ العِصْمَاءَ
على جدرانِ التَّارِيخِ
ليعرِفَ مَنْ يَأْتِي بَعْدُ فُصُولَ المَأْسَاءِ
وكَيْفَ اغْتِيلَ النَّصْرُ ببِضْعِ كُنُوسِ
واذْكُرْ يا هُومِيروسُ — على الهامِشِ —
أَنِّي حَدَرْتُ
مِنَ الغَدْرِ الواضِحِ في عَيْنِ الفِرْسَانِ
حَدَرْتُ مِنَ الخَيْلِ المَدْسُوسِ
لكنَّهُمُ انسَحَقُوا تحتَ حِصَانِ!

مارس ٢٠١١

دورة

أرْتَمِي فِي ظِلَامَاتِ غَابِتِنَا
كِي أَثُورَ عَلَى لَيْلِهَا، صَمْتِهَا، رِيحِهَا الْعَاتِيَهُ
فَتَثُورَ عَلَيَّ النُّسُورُ ...
المقيمةُ منها أَوِ الْغَازِيَهُ

.
.
.
.
.

أرْتَدِي فَوْقَ أَقْنَعَتِي
أُوجِهُي الْكَاذِبَهُ
فَتَثُورُ عَلَيَّ الزُّهُورُ ...
المقيمةُ منها أَوِ الْهَارِبَهُ

.
.
.
.

نقوشٌ على سطحِ ماء

أَنْطَوِي خَلْفَ ذَاكِرَتِي
هَرَبًا مِنْ مُلَاحِقَةِ الْأَعْيُنِ الْمَشْفِقَةِ
ثُمَّ أَضْمِرُ أَجْنَحَتِي
ثُمَّ أَفْقَأُ عَيْنِيَّ
ثُمَّ أَعُودُ غَرِيبًا
— كَمَا جِئْتُ —
لِلشَّرِّ نَقَهُ

قصيدة دمشقية

معارضة لقصيدة (القصيدة الدمشقية) للشاعر الكبير نزار قباني

هذي دمشقُ ... فأينَ الكأسُ والراحُ؟

غابَ الدُّمشقيُّ والأشعارُ ترتاحُ

وليس يرتاحُ طفلٌ تحتَ ليكَّةٍ

إلا وطاردَه في الحُلمِ سَفاحُ

ولا فتاةٌ تهزُّ الرِّيحُ قصَّتَها

إلا وهزَّتْ فؤادَ الرِّيحِ أشباحُ

ولا بأيِّ يُوَاسَى حزنٌ مُتدَنِّةٍ

ولا الشُّموعُ يُوَاسِيهِنَّ إضْحاحُ

ولا جُمانَةٌ في عِقْدٍ ...

ولا قمرٌ في ليلٍ وَجِدٍ ...

ولا في السَّاحِ سَيَّاحُ

ولا ...

– كفاكَ ... أَنُهِدِينَا مَوَاجِعِنَا؟!
أُمُوقِدُ أَنْتِ تَرثِينَا ... أَنُؤَاحُ؟

إِنَّا لَنَدَمِي لِتَنَسَابِ الدِّمَاءِ نَدَى
لِيَبْنَعَ المَرْجُ ... قَدْ يَأْتِيهِ صَدَّاحُ

فلا تَبْحِ بِجراحِ نَحْنُ نَكْتُمُهَا
وَنَكْتُمُ العَفْنَ فِيهَا وَهُوَ فَوَّاحُ

أَغَايَةُ الشَّعْرِ بَوَّاحُ؟! بئْسَ مَنْ شَعَرُوا!
أَغَايَةُ البَوَّاحِ دَمْعُ؟! بئْسَ مَنْ بَاحُوا!

– عُدْرًا أَحِي ... ما دَهَانِي؟ تَهْتُ عَنْ لُغْتِي
فَنُحْتُ إِذْ طَرْتُ فِي أَسْرَابِ مَنْ نَاحُوا!؟

يا إِخْوَتِي: مَوَسِّقُوا أَحْلَى قِصَائِدِكُمْ
بِجُوقَةِ النَّارِ ... فَالْبُرْكَانُ إِفْصَاحُ

بلا قَوَافٍ ... بلا وَزْنَ ... بلا لُغَةٍ
أُيَكْتَبُ الشَّعْرُ مُوسِيقَاهُ أَرْوَاحُ؟

مَلَّاحُكُمْ وَاهِبُ الأَمْوَاجِ زُرْقَتِهَا
وَوَاهِبُ الأَحْمَرِ التُّفَّاحِ فَلَاحُ

وَطَاحِنُ البُنِّ عَطْرُ الهَالِ أَحْرَفُهُ
وَدَفْتَرُ النَّادِلِ الأُمِّيِّ أَقْدَاحُ

وَكُلُّكُمْ يا دَمَشَقِيِّينَ أَغْنِيَةُ
حَزِينَةُ الصَّوْتِ ... والأَصْدَاءُ أَفْرَاحُ

قصيدة دمشقية

يا مُتَعَبِينَ ...
هَنِيءٌ بَعْضُ مَنْ تَعَبُوا
يا غَائِبِينَ ...
مُقِيمٌ بَعْضُ مَنْ رَاحُوا
يا تَأْتِرِينَ ...
أَلَا تُورُوا وَلَا تَهْنُوا
فَقَدْ يُهِينُ ظِلَامَ الظُّلْمِ مِصْبَاحُ!
حَمَلْتُ شِعْرِي عَلَى ظَهْرِي
وَيُخْجِلُنَا
مَنْ يَنْظُمُ الشُّعْرَ تَوَّارًا ... وَيَرْتَاخُ

نوفمبر ٢٠١١

صديقة دمشقية

إلى جمانة زعير

الماء بيننا
والنَّارُ بيننا
أشهدُ أننا ...
برغم ذلك معاً
نهمسُ للفرحِ: «تَعَا»
وسوف يأتي
من وراءِ التَّلألُ
سوف يأتي
تذكُّري
إِنَّ الدُّمُوعَ والدِّمَاءَ ... الظَّلألُ
ووحدهُ الفَرخُ سِرَاجُ
سيضيءُ دونَ زَيْتِ
تذكُّري
حينَ تمرِّينَ على حواجزِ التَّفْتِيشِ
إهداءً وردةٍ لجنديٍّ
يُمِينُكُمْ لكي يعيش
فقطُ لكي يعيشُ

تذْكَرِي

حينَ تَمْرِّينَ على قُبُورِ

إِهْدَاءَ خَنْجَرٍ لثَّاكِلٍ

يَعِيشُ كِي يَثُورُ

فَقَطُّ لَكِي يَثُورُ

تذْكَرِي حينَ تَمْرِّينَ على لَيْلِكَةِ شَهِيدِهِ

تذْكَرِي أَسْرَارَكَ

التي بها بُحِتَ لها

وابكي قليلاً

وأفرشي عليهمُ جَرِيدَهُ

ثمَّ افرحي

لأنَّ أسرارَكَ لن يعرفها غيْرِي

أنا المنفيُّ في جزيرةٍ شريدهُ

جزيرةٍ بها تجلَّى الفرحُ مرَّةً

وزَانَ الأُفُقَا

فخرَّ قلبي صَعِقا

وهَا أنا

أهمسُ للفرحِ: «تَعَا»

وسوف يَأْتِي

من وراءِ الغَمَامِ

سوف يَأْتِي

إنَّ الدُّمُوعَ والدُّمَاءَ ... الظَّلَامِ

ووحدهُ الفرحُ سِرَاجٌ

سيضيءُ دونَ زَيْتِ

ذَاتَ عَفْوَةٍ



وشوشات في أذن الجميلة النائمة

عندما يسأم الليلُ
من فعلٍ تعذيبٍ عينيَّ بالظلماتِ
وأذنيَّ بالوسوساتِ
وقلبي بوحدتهِ
يبدأ الفجرُ ...

عندما تصحبُ الفجرَ أنشودةً للبلابلِ
خافتهُ النغماتِ
وصاخبةُ الذكرياتِ
مُموسقةً ... (ألهمتها الطبيعةُ أحيانها)
يبدأ الشعرُ ...

عندما يتفلسفُ شعريُّ وتُشعرُ فلسفتي
يبدأ الفكرُ ...
عندما يرهقُ القلبُ
تؤكلُ منسأةُ الفكرِ
تنبتُ في حقلِ شوكٍ ورؤدٍ بلا سببٍ
يبدأ العطرُ ...

نقوشٌ على سطحِ ماء

عندما يملأُ العِطْرُ كُونِي
تَهاجِرُ مِنِّي مُفْرَدَةٌ الخَوْفِ
تَرتُقِنِي مُفْرَدَاتُ تُناقِضُها
يَبْدَأُ العُمُرُ ...

عندما يَبْدَأُ العُمُرُ
يَسْقُطُ مِن سَاعَةِ اليَدِ سُمُّ عِقَارِها
يَبْدَأُ السَّحْرُ ...

عندما يَحْمِلُ السَّحْرُ أَجْنِحَتِي
يَنْتَهِى البَحْرُ ...
عندما يَنْتَهِى البَحْرُ

أَعْرِفُ أَنِّي سَأَلْكَ

إيقاعٌ مهترئٌ للنشيج

شَفَا جُرْفٍ ... يَا لَهُ مِنْ شَفَا!
بَدَا حُلْمٌ عِنْدَهُ ... وَاخْتَفَى

وَأَنْتِ الْقَرِيبَةُ قُرْبَ الْجِرَاحِ
وَأَنْتِ الْبَعِيدَةُ بَعْدَ الشُّفَا ...

تقولين: « طِرْ يَا صَدِيقِي سَحَابًا
وَأَمْطِرْ لَنَا حُلْمَكَ الْمَرْهُفَا

وَهَبْ لِلْمَدَى الْمَتَّصِحِّرِ شِعْرَكَ
نَهْرَ شِدَا
وَقِهِ الْأَرْفَا

وَكُنْ كَالصَّدَى فِي الرِّيَّاحِ
وَكُنْ كَالنُّدَى فِي الْجَدَاوِلِ ... لَا يُقْتَفَى»

.
.
.

أنا صَدِيْقٌ يا صَدِيْقَةً ... رُوْحًا
ومُهْتَرِيٌّ يا صَدِيْقَةً ... فَآ

هُوَ الشُّعْرُ أَدْمَى جَنَاحِي وَجَفْنِي
فلا طَارَ هذا ... ولا ذا عَفَا

أَرَاكَ — على بُعْدِ عُمُرَيْنِ —
عِنْدَ شَفَا جُرْفٍ ... يا لَهُ مِنْ شَفَا!

وَيَا يَا لَنَا مِنْ سَلَاحِفَ ...
نَعْدُو ... لِنَهْرَبَ مِنْ قَدَرٍ زَحَفَا!

وَتَصْهَرُ أَصْدَافَنَا الشَّمْسُ لَهْوًا
أَمَا أَنْ لِلشَّمْسِ أَنْ تُكْسَفَا؟!
وللدَّهْرِ أَنْ يَسْتَرِيحَ قَلِيلاً؟
وللبَجْرِ أَنْ يَحْضَنَ السُّلْحَفَا؟

أَمَا أَنْ أَنْ نَسَامَى ...
نُجْرَدَ صَلْصَالَنَا ...
نُثَقِّبَ الْأَسْقَفَا؟

هَشَّاشَتُنَا يا وُجُودٌ ... فَنَاءُ
تُعَلِّمُنَا نَتَّقِي ما اخْتَفَى

فَرِيحَتُنَا يا فَنَاءُ ... خُلُودٌ
تُعَلِّمُنَا نَقْتَفِي ما اخْتَفَى

وبَيْنَهُمَا — إِنْ أَرَدْنَا عُبُورًا —
شَفَا جُرْفٍ
يا لَهُ مِنْ شَفَا!
يا لَهُ مِنْ شَفَا!

هَذِيَان

(أ)

تقول: «أحبُّك» دونِ اكْتِرَاتٍ

وَيَمْضِي ...

وتتركُ لي مِنْ فُؤَادِي نِصْفُ

وتتركُ مِنْ رَوْنِقِ الشُّعْرِ ... لَحْنًا

وَمِنْ نَفْحَاتِ الْفَرَادِيسِ طَيْفُ

يا مَدْخَلِي لِلشَّتَاءِ

انْتَظَرْتُكَ عَشْرِينَ صَيْفُ

وأعرفُ أَنَّ انْتَظَارَكَ ضَعْفُ

يا امْرَأَةً ... حُبُّهَا كَالْحَقِيقَةِ صَلْدُ

وملمَّسُهَا فِي رَهَافَةِ زَيْفُ ...

أعرفُ أَنَّ انْتَظَارَكَ ضَعْفُ

فكَيْفَ قَصَصْتَ جَنَاحِيَّ ... كَيْفُ؟

.
. .
. . .

(أ)

تقول: «أجُبُّك» دون اِكْتِرَاثٍ
وتَمَّضي ... كغَيْمَةٍ حُبُّ
وتَتْرُكُ في العَيْنِ سَيْلاً
وفي الرُّوحِ جَدْباً
وفي الفَمِ جَدْبُ
يا امرأةً لم يُحِطْ بأنوثتها أيُّ قلبٍ ...
أعرفُ أنَّ بقاءك صَعْبُ
أعرفُ أنَّ بقاءك صَعْبُ

.
. .
. .
. .

(أ)

تقول: «أجُبُّك» دون اِكْتِرَاثٍ
وتَمَّضي ...
كأنَّ لم تُخَلِّقْ بكلمتها ألفَ كَوْنٍ
يا امرأةً سَكَنْتِ في حَوَاسِي
فلا الصَّوْتُ صَوْتٌ ... ولا اللَّوْنُ لَوْنٌ
أعرفُ أنَّ بَيْنَ يَأْسِي وبُشْرَاكِ بَوْنٌ
وحَسْبِي مِنَ الهَدْيَانِ أَغَانِ
إذا أَنْتِ أَعْرَضْتِ عَنِّي سَلَوْنٌ

.
. .
. .

(ب)
تقول: «أحبُّك» دونَ اكْتِرَاثٍ
وتَمَّضي ...

أنادي
فتوقِّفها لهفَاتُ النَّدَا
تُنَاشِدُهَا وَشَوَاشَاتُ الصَّدَى

أقول: ارْجِعِي

فتقول: لماذا؟

أقول: لهذا ...

(أشِيرُ بِكُلِّ خَلَايَايَ نَحْوَ الْوُجُودِ)

تقول: سُدِّي

أقول: عَدَا

تقول: رَدِّي

أقول: عَدَا

فَمَا يُهْلِكُ الْمَوْتَ مَا خُلِّدَا

تقول: وأين؟

أقول: المَدَى

تقول: ...

أقول: ...

تقول: ...

(ي)
أقول: عَشَقْتُكَ حَتَّى التَّشَرُّدِ ...

حَتَّى التَّمَرُّدِ ...

حَتَّى التَّجَرُّدِ ...

حَتَّى تَجَسُّدِ حِسِّي

حَتَّى تَمَوْسُقِي نَبْضِي

تقول: «أحبُّك» دونَ اكْتِرَاثٍ

نقوشُ على سطحِ ماء

وَتَمَّضِي ...

وَتَمَّضِي ...

وَتَمَّضِي

قُصَاصَات (١)

لَمْ يُسْعِفِ الْبَوْحُ ... لَا هَمْسٌ وَلَا صَخَبٌ
مَرَارَةً الْحَرْفِ قَبْلَ الْحَرْفِ تَنْسَكِبُ

هَلْ مِنْ شِفَاهٍ بغيرِ النُّطْقِ تُبْلِغُهَا
أَنَّ الْعُيُونََ بغيرِ الدَّمْعِ تَنْتَجِبُ؟!

شَظَايَا

أَنَا مِنْ زُجَاجٍ
أَتَصَلَّدُ حِينَ أَثُورُ ... أَصَدُّ الرِّصَاصُ
أَتَبَلُورُ حِينَ أَحَبُّ ... كَقَلْبِ الإِجَاصُ
أَكْتَفُّ هَذَا الوجودَ نَدَى حِينَ أَضْحَكُ
ثُمَّ أَكْتَفُّهُ حِينَ أَنشِجُ مِلْحًا أَجَاجُ

أَنَا مِنْ زُجَاجٍ
أَشِفُّ لِيرشَفَ مَنْ قَبِعُوا دَاخِلِي النُّورَ
يَا نُورُ ... قَدْ كُنْتُ يَوْمًا عَتِيمًا كَقِطْعَةِ عَاجٍ
ثُمَّ رَمْتَنِي فَتَاةٌ لِدَاخِلِهَا ... فَارْتَشَفْتُكَ
ثُمَّ رَمْتَنِي لِخَارِجِهَا ... فَاكْتَشَفْتُكَ
ثُمَّ اسْتَحَلْتُ زُجَاجُ ...
لَأَرَى الآخِرِينَ وَهُمْ دَاخِلِي يَرشِفُونَكَ
أَوْ يَنْقَرُونَكَ مِثْلَ صِغَارِ الدَّجَاجِ
أَنَا مِنْ زُجَاجٍ
صَقَلْتَنِي فَتَاةٌ
فَصِرْتُ كَمِرَاتِهَا ... كَاذِبًا
كَيْفَ سُرْتُ بِكَذِبِي!؟

هَشَمْتَنِي فَتَاةٌ لَتَنْزَعَ قَلْبِي!
كَيْفَ ظَنَنْتُ يَكُونُ لَهَا وَحْدَهَا؟!

صَهَرْتَنِي فَتَاةٌ
فَسِلْتُ عَلَى جِسْمِهَا حِمَمًا
نَمَّ هَمَّتْ ...
وَلَمْ أَرِ بُرْهَانَ رَبِّ؟
هَلِ الذَّنْبُ ذَنْبِي؟
إِذَا أَشْعَلْتَ فِي كَيْانِي الطَّبِيعَةَ
رَيْتَ الرَّجُولَةَ
هَلْ لَا أَكُونُ سِرَاجٌ؟
أَنَا مِنْ زَجَاجٍ
وَالزُّجَاجُ ... رِمَالٌ مُقَطَّرَةٌ
(أَنْذَكَّرُ تِلْكَ الْخُرَافَةَ حَتَّى أَهْيِنَ غُرُورِي)
أَنَا مِنْ رِمَالٍ ...
ظَمًا التَّائِهَاتِ ... حُمُورِي
وَالرَّوَاءُ ... اغْتِيَالُ
أَنَا مِنْ رِمَالٍ
وَالرِّمَالُ ... تُرَابُ
وَالتُّرَابُ ... مِيَاهُ
وَالْمِيَاهُ ... سَرَابُ
أَنَا مِنْ سَرَابٍ
أَنَا مِنْ سَرَابٍ ...

ذَاتَ ضَيْعَةٍ



والرّماديُّ ... يوماً قد يثور

حينَ أُخْرِجُ من منزلي في الصَّبَاحِ
أَرَاهُ كعَادَتِهِ

سَاجِدًا لِإِلَهِيهِ ... الشَّمْسِ
يَشْكُرُهَا لِإِعَادَتِهِ — بَعْدَمَا مَاتَ — حَيًّا

حينَ يَلْمَحُنِي قَادِمًا مِنْ قَرِيبٍ
يَصِيرُ عَلَى فَوْرِهِ وَثَنِيًّا

وَيُحَوِّلُ قِبَلَتَهُ ... وَالسُّجُودَ ... إِلَيَّا
ثُمَّ يَتْبَعُنِي زَاحِفًا

يَتَقَمَّصُ شَكْلَ الرَّصِيفِ
بِكُلِّ نُتُوءَاتِهِ وَفَرَاعَاتِهِ

وَبِكُلِّ مَرَارَتِهِ

ثُمَّ حينَ أَضِيقُ ...

بِالوُجُوهِ الغَرِيبَةِ ... وَالأَعْيُنِ الخَائِفَةِ

حينَ أَهْرُبُ مِنْ سَأَمِ الأَرِصَفَةِ ...

لِلطَّرِيقِ ...

يَتَقَمَّصُنِي ... يَتَقَمَّصُ شَكْلِي

وَهَرَوَلَّتِي لِلعُبُورِ

أَمَامَ ظِلَالِ تَصَوُّبِ أبْوَاقِهَا نَحُونَا سَخَطًا

ثمَ أَطْلُبُ أَنْ أَتَقَاسَمَ مَعَهُ اللُّهَاتَ ... (لِهَاتِ غَرِيقِ)

يتجاهلني!

«كيفَ تنسى حُقوقَ الصِّديقِ
إذا كنتَ حقاً صديقاً؟!»

لا يُجيبُ

فأمضي

وَيَمْضِي مَعِي

فَأَرَاوَعُهُ ... أُنْتَقِلُ بَيْنَ الْأَرْقَةِ وَالطُّرُقَاتِ

فَيَتَبَعُنِي ... يَتَمَوَّجُ بَيْنَ الْأَرْقَةِ وَالطُّرُقَاتِ

يُرَاوِعُنِي ... فَيُغَيِّرُ مِنْ طُولِهِ كَيْ يُضَلِّلَنِي

يَتَقَاصِرُ ...

حَتَّى يُحَاكِي انْكِمَاشَةَ هَرٍّ

يُدَاعِبُ أَقْدَامَ صَاحِبِهِ كَسَلًّا

يَتَطَاوَلُ ...

حَتَّى يُحَاكِي اسْتِطَالَهَ نَصٍّ

يُعَدِّبُ أَقْلَامَ كَاتِبِهِ مَلًّا

فَأُضِلُّهُ بِادِّعَائِي بِأَنِّي لَمْ أَكْتَشِفْ بَعْدُ تَضَلُّيلَهُ

وَأَغَافِلُهُ

نَمَّ أَقْفَرُ تَحْتَ مِظَلَّةٍ مُؤَوِّفٍ هَيْبَةً نَقَلَ عُمُومِيَّةَ

تَتَكَدَّسُ فِيهِ الْوُجُوهُ

وَتَرَكُّضُ مِنْهُ الْهَوَاجِسُ

أَمْكُثُ ... أَمْكُثُ ... حَتَّى أَضِيقُ ...

بِالْوُجُوهِ الْغَرِيبَةِ ... وَالْأَعْيُنِ الرَّائِفَةِ

نَمَّ أَهْجَرُ أَقْبَعَةَ الْأُرْصِفَةِ ...

وَالْبَبِي نِدَاءَ الرَّفِيقِ

الَّذِي ظَلَّ مُنْتَظِرًا عِنْدَ حَدِّ الطَّرِيقِ

«يا رَفِيقِي ...

يا لَصِيقِ!»

يَتَجَاهَلُ — عَمْدًا — نِدَائِي

يُمَارِسُ لُعبَتَهُ

يَتَقَافَزُ حَوَلي
يَمِينِي ... يَسَارِي ... أَمَامِي ... وَرَائِي
وَلَكِنَّهُ أَبَدًا لَا يُفَارِقُنِي
رَبِّمَا حِينَ حَاوَلَ أَنْ يَتَمَرَّدَ ...
كَانَ يُرِيدُ لِيَهْرَبَ مِنْ عَالَمِ جَامِدٍ وَاضِحٍ
وَيَعُودَ إِلَى عَالَمِ شَاحِبٍ كَصَدَى
غَامِضِ كَسْوَالٍ

رَبِّمَا حِينَ حَاوَلَ أَنْ يَتَجَسَّدَ ...
كَانَ يَظُنُّ إِذَا اتَّحَدَ اللَّامُجَسَّمُ مِنْهُ
فَكَوْنَ جِسْمًا
سَيَحْظَى بَرُوحَ هُلَامِيَّةٍ مَا
لِيَحْيَا بِهَا فِي بِلَادِ الْمَحَالِ

رَبِّمَا كَانَ يَحْلُمُ
— لَوْ كَانَ يَحْلُمُ —
أَنْ ذَاتَ يَوْمٍ يَرَى نَجْمَةً
أَنْ يُعَذِّبُهُ
— حِينَ يَعْشُقُ —
سُهِدُ اللَّيَالِي الطُّوَالِ

رَبِّمَا حِينَ كُنْتُ أَرَاقِبُهُ
وَهُوَ مُنْهَمِكٌ فِي التَّغْلُغِ فِي ذِكْرِيَاتِ التُّرَابِ ...
كُنْتُ أَبْحَثُ دَاخِلَ ذَاكِرَتِي عَنْ تُرَابِي ...
(تُرَابِي الَّذِي مِنْهُ كُنْتُ وَمِنِّي سَوْفَ يَكُونُ)
أَرَاقِبُهُ ...

وَأَقُولُ لِنَفْسِي:
شَّيْبِيهَا نَحْنُ

ولسنا نَشَابُهُ إِلَّا ضَبَابٌ

رَبِّمَا حِينَ كَانَ يُرَاقِبُنِي
وَأَنَا سَابِحٌ فِي سَدِيمِ كِتَابٍ ...
كَانَ يَبْحَثُ عَنِ لُغَةِ مَا لِيَكْتُبَ عَنِّي
يَقُولُ بَأْنِي — أَنَا ظِلُّهُ الْبَشَرِيُّ — أَطُولُ وَأَقْصُرُ
نَمَّ يَدُونُ وَحَيِّ إِلَهْتِهِ ... الشَّمْسِ
أَمْرًا فَأَمْرًا وَنَهْيًا فَنَهْيًا
لِيَعْبُدَهَا — كَيْفَمَا نَزَلَ الْوَحْيُ — حَقَّ عِبَادَتِهَا

رَبِّمَا حِينَ شَبَّ عَلَى حَائِطِ الْبَيْتِ
كَانَ يَظُنُّ إِذَا قَامَ مُنْتَصِبًا قَدْ يَفُوقُ قَوَامِي طُولًا
فَأَتَّبَعُهُ أَنَا حَيْثُ أَرَادَ الذَّهَابُ
رَبِّمَا ...

ثَوْرَةٌ بَعْدُ لَمْ تَشْتَعِلْ فِي الْفُؤَادِ الرَّمَادِيَّ
حِينَ بَدَتْ فِي الْفَضَاءِ ...
رَسَائِلُ حَمْرَاءَ ...
أَنْ حَانَ وَقْتُ الْغِيَابِ
فَاسْتَدَارَ
تَجَمَّدَ ثَائِنَتَيْنِ لِيَنْظُرَ نَحْوِي
فَصَحَّتْ بِهِ:

«لَا تُبَالِ بِهَذَا النَّدَاءِ السَّرَائِيَّ ...
هَذَا الْهَرَاءِ الْفَضَائِيَّ»

والرَّمَايِي ... يوماً قد يُتُّور

لِكِنَّه

قَبْلَ أَنْ تَأْمُرَ الشَّمْسُ ... ذَابَ

قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ الْعَيْبَ ... غَابَ

رَبِّمَا ظَنَّ أَنَّ وِزَاءَ السَّرَابِ الْبَعِيدِ

صَبَاحًا وَوَلِيدِ

وَبَعَثًا جَدِيدِ

فَسَارَ

وَلَمْ يَدْرِ أَنْ لَيْسَ تَمَّ إِيَابُ

رَبِّمَا ...

رَبِّمَا ...

رَبِّمَا

قصاصات (٢)

أنا سؤالُ البيتِ للصَّوتِ:

«لماذا اغتَلَّتْ دَقَّاتِ قلوبِ
كان في إيقاعها مَعْبَرُنَا الأثيرُ
نحو حِقْبِ السُّحْرِ الخَوَالِ؟»

.
. .
. .

أنا سؤالُ الصَّوتِ للصَّمْتِ:

«لماذا اغتَلَّتَنِي؟ ولم أكنْ إلاَّ تَجَسُّدًا
لذَبذَبَاتِ نَبْرِكَ المحالِ»

.
. .
. .
. .

أنا سؤالُ الصَّمْتِ للمَوْتِ:

«لماذا اغتَلَّتَنِي؟ ولم أكنْ إلاَّ رَسولًا للفناء
مُنذِرًا ... مُبَشِّرًا ... للسَّائِرِينَ في السَّرَابِ: انتَبَهُوا
بعدَ السَّرَابِ آخِرُ ... وآخِرُ ... وآخِرُ ...
قبلَ المالِ»

.
. .
. .

نقوشٌ على سطحِ ماء

أنا سؤالُ الموتِ للشُّعْرِ:

«متى تُكْفُ عن قَتْلِي؟!
ألا من هُدْنَةٍ بَيْنَ غَرِيمَيْنِ شَرِيفَيْنِ؟
متى تُكْفُ عَن قَتْلِي؟!»

خُيُوط

كَالطَّائِرَاتِ الْوَرَقِيَّةِ
أَطِيرُ
لَا أَطِيرُ
تُدْهَشُ الْفَتَاةُ اللَّعُوبُ
(عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ كَانَتْ
تَتَسَلَّى بِاصْطِيَادِ الْقُلُوبِ ...
بِزِيَّهَا الْفَاضِحِ
أَوْ بِالنَّظَرَاتِ الْغَجْرِيَّةِ)
تُدْهَشُ:
كَيْفَ لَمْ أُحَلِّقْ لِسَمَاوَاتِ فِسَاحٍ؟!
كَيْفَ لَا تَجْذُبُنِي عَوَالِمُ النُّورِ
فَأَرْقَى ... تَارِكًا عَوَالِمَ الطِّينِ وَرَائِي؟!
رَبِّمَا تَسَاءَلْتُ فِي نَفْسِهَا
عَنِ الَّذِي فِي طِينِهَا ... فِي ظِلِّهَا ... اسْتَعْبَدَنِي
فَلَمْ أُحَلِّقْ خَلْفَ شَمْسٍ لَوْلِيِّيَّةٍ؟

.
.
.

كالطَّائِرَاتِ الْوَرَقِيَّةِ

أَتَّبِعُهَا

أَدُورُ دَوْرَتَيْنِ فِي الْفِرَاغِ حَوْلِي

وَتَزُورُ فِي فِضَاءَاتِ السُّؤَالِ نَظْرَتِي

.

.

يَا لَيْتَهَا مُدْرِكَةٌ أَنِّي أَطِيرُ قَدْرَ جَهْدِي

صَانِعِي مِنْ وَرَقِ الْمَرَاهِنَاتِ صَاغِنِي

صِرْتُ رَهِيْنٌ صَانِعِي

صِرْتُ سَجِيْنٌ عَالِي

صِرْتُ صَحِيَّةٌ

يَا لَيْتَهَا شَاعِرَةٌ أَنِّي مُقَيِّدٌ

وَمَا يَرْبِطُنِي بِالطَّيْنِ خَيْطُ شَهْوَةٍ ...

لَا جَاذِبِيَّةٌ

وَلَيْتَهَا مُشْفِقَةٌ

أَنَا صَحِيَّةٌ

أَنَا بَلَا أَجْنَحَةٍ

كَالطَّائِرَاتِ الْوَرَقِيَّةِ

قُصَاصَات (٣)

وَإِقْفَا عِنْدَ حَافَّةِ نَفْسِي

بَيْنَ صُدُوعِ سَحِيقِهِ

بَاحِثًا عَنِ فُتَاتِ الْحَقِيقَةِ

أَتَسَاءَلُ:

كَيْفَ أَنَا لَمْ أَزَلْ أَنَا؟

كَيْفَ أَقَاوِمُ إِغْرَاءَ أَنْ لَا أَكُونَ أَنَا

لِدَقِيقَتِهِ؟

تَمَتَّاتٌ عَلَى الدَّرَبِ

... وَقُدْنِي إِلَيْكَ
لَكِي تَتَجَرَّدَ نَفْسِي جُرْحًا فَجُرْحًا
عَلَى رَاحَتَيْكَ

وَقُدْنِي إِلَيْكَ
لَأَنْتِي أَخَافُ الطَّرِيقَ
وَيُرْعِبُنِي لَيْلُهُ الْمُنْعَزَلُ
أَخَافُ إِذَا نِمْتُ إِلَّا أُنْفِقُ
أَخَافُ إِذَا سِرْتُ إِلَّا أَصِلُ

وَقُدْنِي إِلَيْكَ
لَأَنْتِي أَخَافُ السَّرَابَ
وَيَجْذِبُنِي وَهْمُهُ الْمَبْتَدَلُ ...
كَسَاقِطَةٍ شَفَتَاهَا تُرَابُ
وَتَدْفَعُنِي ظِمَامَتِي لِلْقُبُلِ

وَقُدْنِي إِلَيْكَ
لَأُنِّي أَخَافُ الْوُجُودَ
يَطْوِقُنِي عَبَثًا وَمَلَأَ
وَإِنِّي وَصَلْتُ لِبَعْدِ الْحُدُودِ
فَأَنْقَصَنِي الدَّرْبُ حِينَ اكْتَمَلُ

وَقُدْنِي إِلَيْكَ
فَأَنْتَ خَلَقْتَ النُّدَاءَ
وَبَعْدَ الْعَنَاءِ ... اخْتَرَعْتَ الْقَلَمَ
لَأَخْلُقَ بِالْحَرْفِ ضِدَّ الْعَنَاءِ
وَمَا أَوْجَدَ الْحَرْفُ إِلَّا عَدَمَ
فَقُدْنِي إِلَيْكَ
أَوْ أَتَيْتُ إِلَيْكَ
وَجَسَّدَ يَقِينِي نُورًا فَنُورًا
عَلَى مُقَلَّتِي
وَقَدْ تَتَجَلَّى فَتَهْوِي جِبَالُ
وَلَكِنْ
سَيَنْتَأُ مِنْهَا نَبِيٌّ

قُصَاصَات (٤)

أَيُّهَا الْكَادِحُونَ: ... اكْدَحُوا

لا جَدِيدُ

أَيُّهَا الْبُسَطَاءُ

السَّاكِنُونَ قُصُورًا مِّنَ الصَّخْرِ وَالْمَلْحِ

وَالْمُؤْمِنُونَ بِإِيمَاءَةٍ مِّنَ سَمَاءٍ ...

أَوْ بَرِيدٍ

الْحَالِمُونَ بِإِعْفَاءَةٍ بَيْنَ أَعْضَانِ حُورِيَّةٍ

بَعْدَ عُمُرٍ شَقَاءٍ:

احلُمُوا

واكْدَحُوا

لا جَدِيدُ

لا جَدِيدُ

نقوشٌ على سطحِ ماءٍ

لأنَّهم آمنوا بي ... إنَّني وجِلُّ
لأنَّهم كفروا بي ... إنَّني وجِلُّ
لأنَّهم لم يروا ما بالخيالِ أرى
قالوا لكلِّ الذي أخبرْتُهُم: «دَجَلٌ»

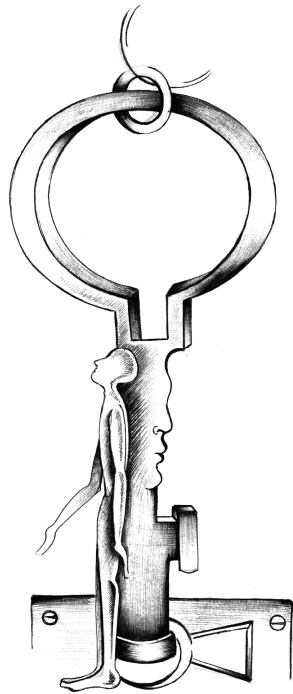
لأنَّه ليسَ سهلاً أنْ تخطَّ مَدَى
وأنْ يسيرَ وَرَاكَ النَّاسُ دُونَ هُدَى
صَرَخْتُ: «سِيرُوا» ... فماتتْ صَرَخَتِي بِفَمِي
وفي دَمِي ماتَ حُلْمُ الكَشْفِ ... ماتَ سُدَى

«أريدُ أنْ لا أُريدَ» ... اليومَ قَبْلَ غَدِ
أريدُ عَجَزَ عُيُونِي أَنْ يَشُلَّ يَدِي
أحياناً كَعَبَّادِ شَمْسٍ لا مُرَامَ لَهُ
إِلَّا اتَّبَاعَ شُعَاعِ النُّورِ ... لِلأَبَدِ
يا ذلكَ النُّورَ يخبُّو ثَمَّ يَتَّقُدُ
ما أنتَ؟ ... ما أنا؟ ... ما أبعادهُ الأَبَدُ؟
كَمْ سارَ قبلي إِلَيْكَ العارِفُونَ ...
وما بعارِفٍ أنا ... هل أصبُّو لما وجَدُوا؟

فراشةٌ أتبعُ الأنوارَ ... أحترقُ
وفي رَمادِ جناحي يُوأدُّ الألقُ
أعودُ في هيبةِ الدودِ الوديعِ
إلى حِصْنِ التُّرابِ ... فلا فِكْرٌ ولا أرقُ

أعودُ للأصلِ ... للصلصالِ ... للماءِ
نقشُ أنا فوقَ سطحِ الماءِ بالماءِ
تبعتُ خِضري ... فلم يسطعْ معي صبراً
وملأ مني ... من صمتي وإصغائي
نقشُ أنا فوقَ سطحِ الماءِ ... يا ماءً:
ها قد جُعِلْنَا ... أحقاً نحنُ أحياءُ؟!
هلاً حملتَ لنا من برزخِ نَبأٍ
حملتَ عرشاً ... فهل تُعييكُ أنباءُ؟!

ذَاتَ رُؤْيَةٍ



صَلَوَات

(شجرة)

يَا أُمَّنَا الْأَرْضَ
وَيَا رَبَّنَا الشَّمْسَ
تَقَبَّلَا الصَّلَاةَ الْآخِرَةَ

وَبَارِكَا الْعُصَاةَ الَّتِي أُرِيقَتْ
وَاحْفَظَا بُدُورَنَا الْمَهَاجِرَةَ ...
مِمَّنْ عَلَى رِجْلَيْنِ يَمْشِي
إِنَّهُ ...
يَصْنَعُ مِنْ صِغَارِنَا سَجَائِرَهُ!

(طائر)

يَا رِيَّاحُ
تَقَدَّسَتْ كُلَّ مَسَاءٍ
تَقَدَّسَتْ كُلَّ صَبَاحٍ

يا رِيَّاحُ
يا مُمَسِّكَاتِ بِأَجْنِحَتِي أَنْ يَقَعَنَّ
وَمُسْتَمْسِكَاتِ بِأَسْطُورَتِي أَنْ تُبَاحَ

يا رِيَّاحُ
عُدْتُ مَمَّنْ يَطِيرُ بِغَيْرِ جَنَاحٍ
إِنَّهُ — بَعْدَ هَدْمِ بِيُوتِي الغُصُونِ —
يُرِيدُ يُشَارِكُنِي فِي البَرَّاحِ!

(بَشْرِي)

يا إِلَهِي المَسْمِعَ الصَّمِّ الدُّعَاءِ
والمُرِي العُمَى البُكَاءِ:
لا أَنَا جِيكَ سُدِّي
لي فِي مُنَاجَاتِي رَجَاءُ

يا إِلَهِي المَسْمِعَ الصَّمِّ الدُّعَاءِ
والمُرِي العُمَى البُكَاءِ:
ضَاقَتِ الأَرْضُ بِتَعْمِيرِي لَهَا
فَامْنَحْنِ مِفْتَاحَ الفُضَاءِ!

مشاهدٌ من غيبٍ لم يُكتَب بعد

(مشهد)

عَارِيًا ...
(والصَّحَارَى — التي انْبَتَقَتْ فَجَاءَةً — قَاجِلَهُ)
تَائِهًا ...
تَنْتَهَى لِبِدَائِتِهَا — كَلَّمَا سَارَ مِيلاً — خُطَاهُ
عَطَشٌ قَدْ يُجَفِّفُ نَهْرًا
وَرُوبَعَةٌ قَدْ تُشْطِئُ إِلَهُ
هُوَ حَيٌّ وَلَكِنَّهُ نَسِيَتْهُ الْحَيَاةُ
عِنْدَمَا ضَلَّ عَنْ قَافِلِهِ
بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَسْقُطُ
يَشْرَبُهُ الرَّمْلُ
فَالرَّمْلُ ظَمَانٌ
مِنْذُ رَوْتِهِ عَصَارَةٌ آخِرِ شَجَرَةِ أَرْزٍ
عَلَى ضِفَّةِ الْأَمَازُونِ

نقوشٌ على سطحِ ماء

(مشهد)

عَارِيًّا ...
(والتُّلُوجُ — التي انْبَجَسَتْ فَجَاءَةً — قَارِسُهُ)
تَائِهًا ...
يُفْتَشُّ عَن شَمْسِهِ فِي انْهِيَاؤِ
يُسَاعِدُهُ حُظُّهُ فِي العُنُورِ عَلَيْهَا
وَيَتْرُكُهُ
لَا يُحِسُّ بِدِفْءٍ وَلَا يَسْتَيْبِنُ مَسَارَ
فَالْبَصِيرَةَ دَامِسَةً ... دَامِسَهُ
بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَسْقُطُ
يُدْفِنُهُ التَّلْجُ
والتَّلْجُ نَشْوَانُ
مُدُّ أَدْفَاتِهِ حَرَارَةٌ آخِرَ عَائِلَةٍ مِّنْ نَّحِيلِ
دُفِنَتْ تَحْتَهُ مَعَ نَائِي ... وَنَيْلِ

(مشهد)

فَوْقَ قِمَّةٍ إِيفِرْسَتْ
ثُمَّ عَجُوزٌ تُحْمَلِقُ فِي البَحْرِ
فِي حَيْرَةٍ
وَتَرَى البَحْرَ أَيضًا يَحْمَلِقُ فِيهَا
تَرَى فِي المِيَاهِ انْعِكَاسَ سُؤَالٍ يَدُورُ بِخَاطِرِهَا:
«كَيْفَ جِئْتُ هُنَا؟»
تَتَأَمَّلُ حَيْرَتَهُ
وَيَمَلُّ تَأَمُّلَهَا
فَيُلْمِلِمُ غَيْمًا كَرِيشٍ غُرَابٍ تَنَاتَرَ
يَصْنَعُ لَيْلًا
وَتَحْضُنُ طِفْلًا

مشاهدٌ من غَيْبٍ لم يُكْتَبَ بعد

وَيَعْلِكُ صَخْرًا
وَتَعْلِكُ ذِكْرِي
يُزْمَجِرُ

تَهْدِي: «بُنَيَّ ... بُنَيَّ ... تَجَلَّدْ
سَتَاتِي السَّفِينَةَ عَمَّا قَلِيلٍ وَيَهْتَفُ نُوحٌ:
«ارْكَبُوا مَعَنَا!»
وَيَغْرِقُ كُلُّ غَرَابٍ يُعْنِي الْفَنَاءَ
وَتَغْرُقُ كُلُّ عَجُوزٍ تَنُوحُ
وَيَطْفُو أَمَلٌ
سَيُظْهِرُ نُوحٌ
لِيُعْصِمَنَا مِنْ مَآسِي الْجَبَلِ
سَيُظْهِرُ نُوحٌ
سَيُظْهِرُ ... نُوحٌ»

بعدَ يَوْمَيْنِ تَسْقُطُ
يَحْضُنُهَا وَابْنَهَا الْمَوْجُ
فَالْمَوْجُ حَيْرَانٌ
مَنْذُ أَتَى مِنْ بُرُودَةِ قُطْبُ
إِنَّ آخِرَ مَا يَذْكَرُ الْمَوْجُ
أَنْ كَانَ يَوْمًا جَلِيدًا يُدَاعِبُ دُبُّ

(مشهد)

(مَعْمَلُ هَائِلِ الْأَدْوَاتِ)
(عَالِمُ هَادِرِ الْكَلِمَاتِ):

«أَجَلٌ ... إِنَّهُمْ صَبَّعُونَا
الرَّعَاعُ ... دُعَاةُ التَّخَلْفِ
حَمَقَى ... عَرَايَا ... بَادُغَالٍ فَيَتَنَامُ
أَوْ جَائِعُونَ ... عَطَاشَى ... بَصَّحْرَاءِ إِيُوبِيَا
أَيْنَمَا وَجِدُوا
مَا اسْتَحَقُوا الْوُجُودَ
أَنَا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْخُلُودَ
أَنَا أَمْلِكُ الْكُونَ

نقوشٌ على سطحِ ماء

أَمْزِقُ فِي سُرْعَةِ الضَّوِّءِ لِلْمُشْتَرِي
أَخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ مَيِّتِ كُلِّ يَوْمٍ
وَلَسْتُ أَكْبَلُ أَفْعَالَهُ
بِخَلْقِي لَهُ
أَنَا أُجْرِي الرِّيحَ بِأَمْرِي
وَأُصْنَعُ غَيْمًا إِذَا سَنَّتْ
أَنْتِ حَيْثُ أُرِيدُ
وَأُجِدُ حَيْثُ أُرِيدُ
أَجَلٍ ...
إِنَّهُمْ ضَيَعُونِي
الرَّعَاعِ ...
العَيْدِ»

بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَنْجُو
وَحِيدًا
لِيَبْكِي حَضَارَتَهُ الرَّائِفَهُ
بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَسْقُطُ
لَا يَشْرَبُ الرَّمْلُ
لَا يَدْفِنُ التَّلْجُ
لَا يَحْضُنُ المَوْجُ
(أَقْسَمَتِ الأَرْضُ أَنْ تَأْنَفَهُ)

(مشهد)

بَعْدَ يَوْمٍ
سَاحِيًا
لَأَكْتُبَ ... لَا مَشْهَدًا آخَرَ ... بَلْ سُؤَالَ:

«كَيْفَ تَبْدُو المِسَافَةَ لِلْمُشْتَرِي
أَصْغَرَ مِنْ حَطُونِ اللِّيْزِرِي
وَتَبْدُو المِسَافَةَ لِلضُّعْفَاءِ
أَكْبَرَ ... أَكْبَرَ مِنْ كِبْرِيَاءِ؟!»

مشهدٌ آخر... لأطلانتسٍ أخرى

وبينَ يديَّ الفَسِيلَةُ ... أمضي
وخلفي القيامةُ
تنهشُ أمعاءَ أرضي
أه يا أرضي الطيبةُ
أمضي ...
تسابقني قافلاتُ الجعاريينِ
خوفًا من الحافلاتِ التي مرَّقتْ هاربهُ
والجعاريينِ
مساكينِ
وذوو مَترَبه
أمضي ...
تطارِدُني صرَحَاتُ الدَّلافِينِ
زحفًا على الرَّمْلِ
كانتْ هنا قبلَ أمسٍ بحارٌ
وكانتْ ديارٌ
وكانَ انفجارٌ
فكانَ غبارٌ
وكانَ دوارٌ
وكنّا — أنا والدَّلافِينُ — نلهو ...
الدَّلافِينُ

المساكينُ

أغرقَ الرَّمْلُ أرواحَهَا المتعبَةَ

.
. .
. . .

وبينَ يديَّ الفِسيْلَةَ ... أمْضي

وخلْفِي القِيَامَةَ

تنهشُ أمعاءَ أَرْضِي

ضَجِيحُ القنَابِلِ أَكْثَرُ سُمِّيَّةً

من أشعَّتْهَا النَّوِيَّةُ

سَرْمِدِيَّ طَرِيقِي

إلى قَرْيَةٍ شَاعَرِيَّةِ

كُلُّ شَبْرٍ: بَلَدٌ

كُلُّ خَفَقَةٍ قَلْبٍ: أَبَدٌ

كُلُّ ذِكْرِي: وَتَدٌ ...

يَقِيدُنِي فَوْقَ أَطْلَانِطِسٍ تُحْتَضِرُ

أَمْضِي ... وَأَمْضِي ...

إلى قَرْيَةٍ لَيْسَ يَعْرِفُ عَنْهَا البَشَرُ

فِي الأَسَاطِيرِ قِيلَ:

«هُنَالِكَ يَحْنُو عَلَى الدُّودِ قَلْبُ الحَجَرِ»

رَبِّمَا بَعْدُ لَمْ تَعْرِفِ القَرْيَةَ الوَنْشُ ذَا القَبْضَةِ البَارِدَةَ

وَمَا كَيْنَةَ القُبْحِ ... زَارِعَةَ الخَرَسَانَاتِ

رُبَّ غَدِيرٍ هُنَاكَ سَيَغْسِلُنِي

وَسَيَغْسِلُ هَذَا الفِسيْلَةَ

حَتَّى نَلِيقَ بِهِ

سَنصِيرُ كَمَا المَاءُ فِيهِ

شَفِيفَيْنِ

وَالزَّهْرُ سَوْفَ يَصِيرُ كَمَا الحُلْمُ فِيْنَا

مشهدٌ آخر ... لأطلانتسٍ أخرى

سُقُوفًا بلا أَعْمَدَه
وسوف تصيرُ البيوتُ جُلُودًا لنا
ونصيرُ لها أَفئِدَه

وبينَ يديَّ الفَسِيلَه ... أمِضِي
خلفي القِيَامَه ... تنهشُ أمعاءَ أرِضِي
وحولي الفَسَائِلُ تُدْهَسُ
كي يصعدَ الدَّاهِسُونَ إلى تِيهِ أَكْوَانِهِم
فتفَرُّ كواكِبُهَا من مدارَاتِهَا
أو لكي يهبطَ الدَّاهِسُونَ إلى تِيهِ ذَرَاتِهِم
فتفَرُّ كَهَارِبُهَا من مدارَاتِهَا
أو لكي يدْهَسَ الدَّاهِسُونَ فَسَائِلَهُم ... وفَقَط!

– ما علينا إذا اشتاقتِ الرَّخَوِيَّاتُ أَصدَافَها؟!
ما علينا إذا ذُبِحَتْ – كي يُسَلَّ الفَرَاءُ – القَطَطُ؟!

واستدارُوا ... وسارُوا إلى عَدِهِم
غيرَ منتبِهِينَ إلى أَمْسِهِم
كانَ أَمْسُهُم الشَّرَكَ المِترَبِّصَ بالغِدِ
والغدُ لا بدَّ آتٍ

سوفَ تحمَلُني الرِّيحُ – لا رِيحَ تحمَلُنا
نَاءَتِ الرِّيحُ بالطَّائِرَاتِ
سوفَ يحمَلُني الماءُ – لا غَيمَ يُمَطِرُنَا
والبِحَارُ مَوَاتٌ
سوفَ يحمَلُني الحُلْمُ – لا حُلْمَ
بعد نُصُوبِ المَعَادِينِ والنَّفْطِيَّاتِ

نقوشٌ على سطحِ ماء

سوفَ أحملُ نفسي إذنُ
فلكمُ حلمٌ من جمادٍ ...
ولي حلمٌ من نباتُ
سوفَ أبتكرُ الغدَّ
والغدُّ لا بدَّ آتُ
الغدُّ لا بدَّ آتُ

ذَاتَ رِحْلَةٍ



رجوعاً إلى المهدي

إلى شباب الهجرة غير الشرعية والشرعية

كَانَ يَكْفِي شِعَابُ بَدْرِ شَحِيبٍ
نَلْسَعُ اللَّيْلَ وَالْخَوَاءَ بِهِ
نُرْهَقُ إِرْهَاقَنَا بِهِ
نَتَدَفَّقَا

كَانَ يَكْفِي لِلْعَطْرِ ... عُوْدٌ مِنَ الشُّيْحِ
أَوْ النَّعْنَاعِ الصَّبُوحِ
وَالسُّكَّرِ ... قَلِيلٌ مِنَ الْقَصَبِ
أَوْ كَثِيرٌ مِنَ الْعِنَبِ
يَتَدَلَّى لَنَا ... فَتَنْقِزُ لَهْفَا

كَانَ يَكْفِي لِلشُّعْرِ ... أَنْ الْمَوَاوِيلِ
وَيَكْفِي صَمْتُ الْمَنَاجِلِ عَزْفَا
كَانَ يَكْفِي لِلَّهْوِ ...
رَكْضُ وَرَاءَ الْقِطِّ فِي الدَّارِ
أَوْ وَرَاءَ «أَبُو الْقِرْدَانِ» فِي الْحَقْلِ
(كَانَ يَشْبَعُ مِنْ وَجْبَةِ دُودِ!)

أَوْ بَلَّةٌ بِمِيَاهِ الرَّيِّ
أَوْ قَذْفُ النَّخْلِ لِلتَّمْرِ
(لَمْ نَشْبِعْ وَنَقَنَعْ بِالتَّمْرِ وَجِبَّتِنَا
حَتَّى تَصَوِّرُنَا ...
الآنَ نَمْضِعُ سَعْفًا!)

كَانَ يَكْفِي كُلُّ الَّذِي صَارَ لَا يَكْفِي
أُضِيعَ الْمَكَانُ عَنَّا
فِضَاعَ الْعَمْرِ مَنَّا
ضَاقَتْ بِمَا رَحِبَتْ كُلُّ الْأَرْضِي
وَأَوْسَعْتُنَا زَيْفًا
فَارْتَدَيْنَا عَلَى الْفُؤَادِ قِنَاعًا
نَتَخَفَى بِهِ عَنِ الْآخَرِينَ ...
الْغُرَبَاءِ ... الْمَغْرِبِينَ ...
فَصِرْنَا نَتَخَفَى عَنِ الْحَنِينِ ...
عَنِ الْمَاضِي
فَصِرْنَا عَنِ نَفْسِنَا نَتَخَفَى!

حِينَ أَبْحَرْنَا
كَمْ سَمِعْنَا صَدَى صَاحِ بِنَا:
«لَا يَرْسُو الْغَرِيبُ بِمَرْفَأِ»

فَتَصَامَمْنَا عَنْهُ
ثُمَّ سَمِعْنَا صَوْتَ قَرَعِ الرِّيَّاحِ
فَوْقَ طُبُولِ الْمَوْجِ
قُلْنَا: لِسَوْفَ نَرْسُو ... سَوْفَا
أَمَلًا ...

كَلَّمَا نَضَمْدُ جُرْحًا وَنَرَى آخَرًا
نَقُولُ: «سَيُشْفَى»

رجوعاً إلى المهد

عَبْتًا ...

مَرَّ الْعَمْرُ مَرَّ سَحَابٍ
وَالجِرَاحَاتُ تُمَطِّرُ الرُّوحَ نَزْفًا

قَدْ حَبَّوْنَا مِنْ مَهْدِنَا لِأَمَانِينَا
مُسَخَّنَا

عُدْنَا إِلَى الْمَهْدِ زَحْفًا

كُلُّ أَرْضٍ لَمْ نَحْبُ فَوْقَ تَرَاهَا
فِي طُفُولَاتِنَا ... هِيَ الْأَرْضُ مَنْقَى

هِيَ الْأَرْضُ مَنْقَى

قصاصات (٥)

... السُّلْمُ الكَهْرُبَائِيُّ لَمْ يُنْسِنَا السُّلْمَ الحَشَبِيَّ العَتِيقُ
والعلومُ الطَّبِيعِيَّةُ انْهَزَمَتْ — بعدَ جُهْدٍ —
أمامَ حكاياتِ جَدَّتِنَا
عَن بحارٍ ... وفاتِنَةٍ ... وعَشِيقٍ ...
وغُولٍ
— ولا بُدَّ مِنْهُ —
فَدَمُّ المَحَبِّينَ مُنْتَظَرٌ دائِمًا مَن يُرِيقُ!
سَنَخْلُقُ — نَحْنُ بَنُو الطِّينِ — شَمْسًا
تُضِيءُ بَضْغَطَةَ زُرٍّ
ولكن سَنَبْقَى بَدَهْشَتِنَا ذَاتِهَا
وَبِرْعَشَتِنَا ذَاتِهَا
كَلِّمًا فَاجَّتَّتْنَا البُرُوقُ

من آثارِ رحال

(خدوشٌ على مهد)

سأَمْشي على طُرُقٍ غيرِ مَرْصُوفَةٍ
غيرِ مَوْصُوفَةٍ في حكايا القدامى
وفي سِرِّ الفاتِحِينَ
ربِّما

عندَ مُنْحَدَرٍ ما
خَفِيٍّ على أَعْيُنِ الإِمْنِينِ ...
سَأَرَى هَيْكَلًا كامِلًا لِلْيَقِينِ
أو أراكِ

— كما أنتِ —

أَيُّقُونَةٌ لِلأُمُومَةِ
فَارِشَةٌ رَحْمَهَا لي مِهَادًا
وأنا بارِعٌ في تَقْمُصِ طُورِ الجَنِينِ ...
كَلِّمًا ضاقَتِ الأَرْضُ بي
وَبِنَفْسِي حَنِينٌ لِأَوَّلِهَا
حينَ أَنْقَصَنِي العُمُرُ ... زادًا

أو أراك
— كما أنتَ —
أيقونَةٌ للأُبُوَّةَ
ظَاهِرُهَا الصَّخْرُ
بَاطِنُهَا فِيهِ مَاءٌ مَعِينٌ
أو أراني
كما أنا

(نقوشٌ على رَصيفِ)

غَابَ القَمْرُ
غَابَ القَمْرُ
غَابَ ...
فَعَدَبَ العُيُونََ فِي سُجُونِ اللَّيْلِ
حُرَّاسُ الظَّلَامِ
وَكُنْتُ جِئْتُ هَذِهِ المَدِينَةَ المَحْرُومَةَ النَّهَارِ
والمَحْرُومَةَ النَّخِيلِ وَالزُّهُورِ ... (أبناءِ المَطَرِ)
مَحْرُومَةَ الهَدِيدِ وَالهَدِيرِ ... (آباءِ الكَلَامِ)
جِئْتُ ...
وَفِي حَقِيبَتِي بَعْضُ زُهُورِ الشَّمْسِ
رَغَمَ هَجْرِهَا عَالَمَهَا
تَرْفُضُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ حَتَّى تَنَامَ
وَسِرْتُ عَارِيًّا وَحَافِيًّا
عَلَى شَوْكِ عُيُونَِ العَابِرِينَ
رَاقِبُوا لِكِي يَرَوْا لَوْنَ دِمَائِي
(لَمْ تَكُنْ حَضْرَاءَ مِثْلَمَا تَوَقَّعْتُ
وَلَا حَمْرَاءَ مِثْلَمَا تَوَقَّعُوا)
وَرَاقِبُوا لِكِي يَرَوْا ضُلُوعِي

(لَمْ تَكُنْ طِينِيَّةً كَمَا تَوَقَّعْتُ
وَلَا أَسْمَنْتِيَّةً كَمَا تَوَقَّعُوا)
وَرَأَقِبُوا لِكِي يَرَوْا حُطَّامٌ
فَقُلْتُ:

«لن يُرهبَنِي اللَّيْلُ المَلِيءُ بِالشُّرَاكِ وَالخَفَافِيشِ
وَلنْ أَضِلَّ فِي هَذَا الرَّحَامِ»

لنْ أَضِلَّ فِي هَذَا الرَّحَامِ

(نقوشُ على رَمَل)

حكايتُنَا قَاصِرَةٌ
فَلَا أُبَدُّ سِيْمَنَحُهَا سَرِيرَةَ
وَلنْ تَحْيَا بِذِكْرَاهَا عَشِيرَةَ
قَاصِرَةَ ...
بِمَا يَكْفِي — فَقَطْ — لِنَكَائِرِ الأَحْزَانِ ... أَوْ أَقْصَرَ
مَرِيرَةَ ...
بِمَا يَكْفِي لَطْقِسِ مُشْبَعِ بالدَّمْعِ أَنْ يُمِطِرَ
وَتَنْتَظِرِينَ أَنْ نُرْوَى وَأَنْ نُنْشَعِرَ!
وَأَنْ سَيَعِدُّ كُلُّ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا
لَطْقُوسِ هَذَا الحُبِّ:
رَشَّةَ عَطْرِ،
هَمْسَةَ نَائِ
رَشْفَةَ حَمْرٍ،
أَرْدِيَّةَ مُثِيرَةٍ
أَيُّهَا الغَرِيرَةُ!
مَتَى تَدْرِينَ أَنَّ الرَّمْلَ
طَوَّقَ كُلَّ أَطْرَافِ الجَزِيرَةِ
وَأَنَّ سِبَاحَتِي فِي الرَّمْلِ
كِي أَلْهُو وَكِي أَنْجُو بِلَا حَظَرٍ

نقوشٌ على سطحِ ماء

وكي أهوى خطيرَه؟
سَلَامًا يَا ابْنَةَ الصَّحْرَاءِ
فَابْنُ الرَّيْفِ لَمْ يُقْطَمْ
وَيَكْتُنِبُ نَدْيُ قَرَيْتِهِ مَصِيرَه
سَلَامًا يَا ابْنَةَ الصَّحْرَاءِ
إِنِّي شَاعِرٌ أَبْكُمْ!
أَذَابَ لِسَانِ أَحْرَفِهِ الْأَثِيرَه

(لَا فِتْنَةَ فِي يَمِينِ الْمَسَارِ:)

«الْحُبُّ إِفْكٌ
وَالْفِكْرُ إِفْكٌ
وَالشُّعْرُ إِفْكٌ ... وَإِفْكٌ ... وَإِفْكٌ»

(لَا فِتْنَةَ فِي الْيَسَارِ:)

«أَيُّمَا وَرْدَةٍ نَضَجَتْ بَيْنَ قَوْمٍ فَلَمْ يَجِدُوا رِيحَهَا
فَهِيَ ذَابِلَةٌ دُونَ شَكِّ»

(نقوشٌ على عَيْمِ)

أَمْطِرِي ... أَمْطِرِي ...
فَإِنَّ الْحَنَاجِرَ ...
أَقْفَرَتْ
وَالكَلَامُ عَنْهَا يُهَاجِرُ
.
.

امْتَطِي الرِّيحَ كَيْفَ شِئْتِ
ولكنُ ...

لا تَدُوسَا على جِبَاهِ الأَمَاكِنُ

كَيْفَ لِلصَّبَّارِ، الطُّبَّاءِ، القَوَافِلُ

بِحَيَاةٍ ما ...

والنُّجُومُ أَوَافِلُ؟

كَيْفَ لي

— والرَّمَالُ فَوْقِي وَتَحْتِي وَأَمَامِي —

أَلَّا أَعُودَ إلى الخَلْفِ

وفي ما لَيْسَتْ حُرُوبِي أُقَاتِلُ؟!

كَيْفَ لي أَنْ أَنْجُو مِنَ الرَّمْلِ

إِنْ كَانَتْ بِحَارِي ...

مثلي

تخَافُ السَّوَاخِلُ؟!

نقوشٌ على سطحِ ماء

أَيُّهَا الْغَيْمُ ...
يا تَرَانِيمَ عَطَشِي
بِشِفَاهِ الصَّحْرَاءِ تُتَلَى
هُنَا يا غَيْمُ ... مَهْلًا
تُكَلَى السَّنَابِلُ ... تُكَلَى
وَأَنَا أَحْمِيهِنَّ مِنْ قَحْطِ هَاجِسِ
وَالْمَدَى لَيْسَ يَحْمِلُ إِلَّا الْوَسَاوِسَ
يا غَيُومًا تَبَلَّلُ الْبَحْرَ جَهْلًا ...
أَلْبَائِهًا تُزْفُ الْعَرَائِسُ؟!
«سوفَ تَفْنَى ... أوْ سوفَ تُصْبِحُ رَمَلًا»

قَالَتِ الرِّيحُ،
قُلْتُ:

«لا ماتَ غَارِسُ»

(نقوشٌ على رِيح)

لا أَعْشَقُ الشُّتَاءَ ...
لكنِّي أَحِبُّ الْبُرْتُقَالَ
.
لا أَعْشَقُ الْجِدَالَ ...
لكنَّ نَمَّ سَحْرٌ فِي السُّؤَالِ
.
لا أَعْشَقُ الرَّيْفَ ...
ولكنَّ ضِعْتُ فِي رِيحِ الشَّمَالِ
.
لا أَعْشَقُ الشُّعْرَ ...
وكيفَ؟! ...
وهو تَخْلِيْقُ الْمَحَالِ
.

من آثارِ رَحَّالٍ

لا أكرهُ القطارَ ...
لكنُ بيننا ذِكْرِي اغْتِرابُ

لا أكرهُ الظَّلَامَ ...
لكنُ فيه شَيْءٌ منْ غُرَابُ

لا أكرهُ الرَّمْلَ ...
ولو في كلِّ رَمْلَةٍ سَرَابُ

لا أكرهُ الموتَ ...
وكيفَ وهو تَمْزِيقُ الضَّبَابِ!؟

(خُدُوشٌ على شَاهِدِ)

أَعْنِي ...
وَكَمْ نَشْوَانٍ منْ أَنَّ أَلْحَانِي
وَأَدْمِي ...
ولا حَجَلانٍ منْ عُرِّي شَرِيَانِي
فلا كُنْتَ يا شِعْرِي إذا كُنْتَ ذَابِحِي
ولا كُنْتَ يا رُوحًا هَوَتْ أَلْفَ جِثْمَانِ

ببُطءٍ تنفّسَ يا فؤادي
فقدَ يمضي الزّمانُ بطيئاً
هالني جرّي أزماني
على الرّيحِ والغيماتِ والرّمْلِ تجرّي
تمسّحُ الفرحِ من نقشي
وتنقشُ أحرزاني
على الموجِ تجرّي ...
كي تراودني عن زورقي الأخضرِ المسحورِ
والعاشقِ الإبحارِ في زُرقةِ الآبادِ
بالحورِ تُغرّيني ... بأطنانِ مرجانِ
طُفولةِ رُوحِي تستثيرُ تمرّدي
وشيوخةِ في الجِسمِ تحبسُ عِصيانِي ...
فأكفّرُ بالأعضاءِ
تلكَ التي صاغَ التُّرابُ بها رَسْمِي
وأؤمنُ بالأنهواءِ
تلكَ التي صاغَتْ خيالي ... ووجداني
وأؤمنُ بالإنسانِ يحيا كإنسانِ
أؤمنُ بالإنسانِ يحيا كإنسانِ

* * *